

الإثنـيـن ـ 28ـ 03ـ 2011

ـ 1305ـ فـ رـوـضـةـ أـطـفـالـ الـديـقـراـطـيةـ كـىـ جـىـ وـنـ (ـ 1ـ مـنـ 3ـ)

ـ تـعـتـعـةـ الـوـفـدـ

ـ فـ رـوـضـةـ أـطـفـالـ الـديـقـراـطـيةـ كـىـ جـىـ وـنـ (ـ 1ـ مـنـ 3ـ)

ـ مـنـذـ حـوـاـلـىـ تـسـعـ سـنـوـاتـ كـتـبـتـ فـيـ هـذـهـ الصـحـيفـةـ،ـ الـوـفـدـ الـغـرـاءـ،ـ 3ـ0ـ مـاـيـوـ 2ـ0~0~2ـ مـقـالـاـ بـعـنـوانـ:ـ "ـدـيـقـراـطـيـةـ :ـ كـىـ جـىـ جـىـ.ـ توـ!"ـ.

ـ مـاـلـفـرـوـضـ أـنـ يـنـتـقـلـ الـطـفـلـ مـنـ سـنـةـ أـولـىـ رـوـضـةـ،ـ إـلـىـ سـنـةـ تـانـيـةـ رـوـضـةـ،ـ لـكـنـ يـبـدـوـ أـنـيـ بـعـدـ كـلـ هـذـهـ السـنـيـنـ اـكـتـشـفـتـ أـنـيـ مـعـ مـنـ مـثـلـيـ مـاـزـلـنـاـ فـيـ سـنـةـ أـولـىـ رـوـضـةـ "ـكـىـ جـىـ وـنـ"ـ؟ـ

ـ حـينـ عـشـتـ تـجـرـيـةـ السـبـتـ المـاضـيـ سـبـتـ الـاسـتـفـتـاءـ الـعـظـيمـ،ـ وـقـبـلـ إـلـانـ النـتـيـجـةـ الـمـهـمـةـ الـقـىـ سـاعـودـ لـنـاقـشـتـهاـ لـاحـقاـ،ـ رـحـتـ أـمـعـ ماـ كـتـبـتـ طـوـالـ ماـ يـقـرـبـ مـنـ ثـلـاثـيـنـ عـامـاـ عـنـ الـاـنـتـخـابـاتـ عـامـةـ،ـ وـعـنـ الـدـيـقـراـطـيـةـ بـوـجـهـ خـاصـ،ـ فـوـجـدـتـ أـنـيـ لـمـ أـكـفـ عـنـ إـعـادـةـ تـحـذـيرـيـ مـنـ الـاسـتـسـلـامـ لـأـيـةـ شـعـارـاتـ خـتـلـةـ مـثـلـ تـلـكـ الـقـىـ تـزـعـمـ أـنـ "ـالـشـيـءـ الـفـلـانـ"ـ،ـ أـوـ "ـالـمـبـدـأـ الـفـلـانـ"ـ،ـ أـوـ حـقـ اـسـمـ هـذـاـ الدـيـنـ الـرـبـاـنـ،ـ هوـ الـخـلـ!!ـ اـسـتـعـمـالـ هـذـهـ الشـعـارـاتـ هوـ اـسـتـعـمـالـ شـائـعـ عـرـبـيـ التـارـيـخـ وـفـيـ كـلـ مـكـانـ،ـ وـهـوـ يـتـدـ حـقـ إـلـىـ الـتـنـاهـيـ الـعـلـمـيـ،ـ الرـصـيـنـةـ الـمـغلـقـةـ،ـ هـذـاـ الـاخـتـرـالـ الـخـاسـمـ كـذـاـ:ـ "ـهـوـ الـخـلـ"ـ لـاـ يـقـدـمـ حـلـاـ كـمـاـ يـلـوـحـ لـأـوـلـ وـهـلـةـ،ـ وـإـنـاـ هـوـ يـدـلـ عـلـىـ فـرـطـ الـجـمـودـ،ـ وـإـلـغـاءـ أـىـ اـحـتمـالـ آـخـرـ،ـ كـمـاـ يـدـلـ عـلـىـ التـنـعـصـ وـالـكـسـلـ الـعـقـلـيـ،ـ أـشـهـرـ هـذـهـ الشـعـارـاتـ فـيـ عـامـ الـسـيـاسـةـ عـنـدـنـاـ هـوـ:ـ "ـإـلـاسـمـ هـوـ الـخـلـ"ـ ثـمـ يـلـيـهـ فـيـ ذـلـكـ "ـدـيـقـراـطـيـةـ هـيـ الـخـلـ"ـ..ـ هـذـاـ الصـنـمـ الجـمـيلـ الـمـسـتـورـدـ غالـبـاـ.

ـ مـنـ سـنـةـ 1984ـ وـأـنـاـ أـكـتـبـ هـنـاـ فـيـ الـوـفـدـ بـوـجـهـ خـاصـ،ـ وـلـمـ أـتـرـدـ فـيـ أـىـ مـنـ هـذـهـ الـكـتـابـاتـ وـغـيرـهـاـ مـنـ إـلـانـ أـنـيـ لـسـتـ دـيـقـراـطـيـاـ إـلـاـ رـغـمـ أـنـفـيـ،ـ وـقـدـ حـاـوـلـ شـيخـيـ غـيـبـ مـفـوظـ أـنـ يـعـالـجـيـ مـنـ "ـفـقـرـ الـدـيـقـراـطـيـةـ"ـ بـإـلـاحـ الـنـطـاـسـيـ الـبـارـعـ الـمـؤـمـنـ الـصـبـورـ،ـ لـكـنـيـ لـمـ أـشـفـ تـمـاماـ وـإـنـ كـنـتـ قـدـ اـضـطـرـرـتـ لـلـوـعـتـ بـتـعـاطـيـ حـبـوبـ الـدـيـقـراـطـيـةـ فـيـ الـضـرـورةـ الـقـصـوـيـ،ـ بـعـضـ الـوقـتـ بـاعـتـبارـهـاـ "ـأـحـسـنـ الـأـسـوـأـ"ـ حـتـىـ بـخـدـ الأـحـسـنـ،ـ كـنـتـ دـائـماـ أـشـكـ فـيـ قـدـرـ الـوعـيـ الـعـامـ أـنـ يـسـتـوـعـبـ مـصـلـحـتـهـ مـنـ خـلـالـ عـقـلـهـ الـظـاهـرـ

فحسب، لكن شيخى ظل يقرص أذن جنان بالغ وهو يعلمنى أن جماع الناس يشمل تشغيل مستويات العقول الأخرى التي أخشع نسيانها أو تناسيها ، وبصراحة تحسنت قليلا حتى صفت ذلك الذى علمنى إياه شيخى شعرا في عيد ميلاده الثان والتسعين (الأهرام 12-12-2003) قائلا:

صـاحـتـىـ شـيـخـىـ عـلـىـ نـاسـىـ، وـكـنـتـ أـشـكـ فـبـأـهـ الجـمـاعـةـ
يـخـدـعـونـ لـغـرـ مـاـ هـمـ.

صـاحـتـىـ شـيـخـىـ عـلـىـ زـخـ المـجـمـوـعـ فـخـفـتـ أـكـثـرـ أـنـ أـضـيـعـ بـظـلـ
غـيرـ.

ثم هـاـنـدـاـ أـعـيـشـ هـذـهـ الـأـيـامـ هـذـاـ الـبـعـثـ التـوـرـىـ الـذـىـ أـطـلـقـهـ
شـيـابـ 25ـ يـنـايـرـ مـنـ دـاخـلـنـاـ فـمـيـدانـ التـحرـيرـ، وـإـذـاـ بـأـقـرـبـ
مـنـ وـاقـعـ جـدـيدـ جـيـبـيـ أـمـلـ جـدـيدـ جـيـبـيـ أـنـ أـتـعـاطـيـ نـوـعـاـ أـقـدـمـ
مـنـ الدـعـقـراـطـيـةـ، غـيرـ "دـيـقـراـطـيـةـ الـإـنـاـبـةـ"ـ، بـدـتـ لـ دـيـقـراـطـيـةـ
مـيـدانـ التـحرـيرـ أـقـرـبـ إـلـىـ الـدـعـقـراـطـيـةـ الـمـبـاـشـرـةـ الـتـىـ كـانـتـ
تـمـارـسـ فـأـثـيـنـاـ مـنـ أـكـثـرـ مـنـ أـلـفـيـ عـامـ، وـبـرـغـمـ فـرـحـتـ بـهـذـاـ
الـاـكـتـشـافـ حـنـ يـشـتـرـكـ كـلـ النـاسـ، مـاـ أـمـكـنـ ذـلـكـ، فـإـخـاـذـ الـقـرـارـ،
وـهـمـ يـتـحـمـلـونـ (الـمـفـرـوضـ يـعـنـىـ)ـ مـسـؤـلـيـتـهـ، رـوـادـتـيـ خـاـوـفـ كـثـيـرـةـ
مـعـ مـرـورـ الـأـيـامـ، حـتـىـ عـاـوـدـتـيـ الشـكـوكـ فـسـطـحـةـ الـعـقـلـ الـجـمـعـيـ
وـاحـتـمـالـ اـخـرـافـهـ، فـجـمـوـعـ النـاسـ قـدـ تـحـكـمـ عـلـىـ الطـاغـيـةـ بـنـفـسـ
الـسـهـوـلـةـ الـتـىـ تـحـكـمـ بـهـاـ عـلـىـ الـنـىـ الـجـدـيدـ، أـوـ الصـوـفـ، أـوـ
الـعـقـرـىـ، وـهـذـهـ الـجـمـوـعـ أـيـضاـ الـتـىـ قـدـ جـمـتـعـ عـلـىـ صـوـابـ، وـتـقـصـىـ
أـوـ حـتـىـ تـعـدـمـ الـظـالـمـ، قـدـ يـخـتـلـطـ فـيـهاـ الـخـابـ بـالـنـاـبـلـ تـلـقـائـيـاـ،
أـوـ بـفـعـلـ فـاعـلـ، ظـاهـرـ أـوـ خـفـيـ، لـتـنـقـلـبـ إـلـىـ غـوـغـائـيـةـ الـقـطـيعـ،
وـهـكـذـاـ وـجـدـتـنـاـ طـولـ الـوقـتـ فـلـجـةـ مـنـ الـفـرـحـ الـخـاطـرـ بـقـنـوـاتـ منـ
الـخـوفـ وـالـخـذـرـ، وـيـخـضـرـنـ تـارـيـخـ حـمـلـ بـتـخـبـطـ الـجـماـهـيرـ وـانـسـيـاقـهـاـ
وـرـاءـ أـىـ إـلـاعـمـ خـبـيـثـ، أـوـ كـارـيـزـمـاـ لـامـعـةـ فـارـغـةـ، أـوـ تـهـيـيجـ شـبـهـ
دـيـنـ عـشـوـانـيـ، وـاسـعـ أـمـيرـ الشـعـرـاءـ أـمـدـ شـوـقـيـ فـيـ رـائـعـةـ مـسـرـحـيـةـ
(مـصـرـ كـيـلـوبـاتـرـاـ)ـ وـهـوـ يـجـذـرـ مـنـ مـثـلـ هـذـاـ الـاحـتمـالـ "ـماـركـ
أـنـطـوـنـ دـيـونـ"ـ قـائـلـ:

الـمـعـ الشـعـبـ (ـدـيـونـ)ـ كـيـفـ يـوـحـونـ إـلـيـهـ
يـالـهـ مـنـ بـبـغـاءـ عـقـلـهـ فـأـذـنـيـهـ"

وـيـخـضـرـنـ أـيـضاـ صـلـاجـ عبدـ الصـبـورـ فـنـهـاـيـةـ مـأـسـةـ الـخـلـاجـ
وـالـقـاضـيـ يـلـقـنـ الـعـامـةـ حـكـمـ الـإـعدـامـ قـائـلـ:

"ـمـاـ رـأـيـكـمـوـ يـاـ أـهـلـ إـسـلـامـ؟ـ

.....

وـالـآنـ اـمـضـواـ، وـاـمـشـواـ فـالـأـسـوـاقـ
طـوـفـوـاـ بـالـسـاحـاتـ وـبـالـخـانـاتـ
وـقـيـفـوـاـ فـمـنـعـطـفـاتـ الـطـرـقـاتـ
لـتـقـولـوـاـ مـاـ شـهـدـتـ أـعـيـنـكـمـ

قـد كـان حـديث الـخـلـاج عـن الـفـقـر قـبـاعـا يـحـفـي فـقـره
لـكـن الشـبـلـي صـاحـبـة قد كـشـت سـرـة

.....

الـدـوـلـة لـم تـحـكـم
بـل نـحن قـضـاء الـدـوـلـة لـم تـحـكـم
أـنـثـم . . .
حـكـمـتـم فـحـكـمـتـم

فـامـضـوا قـولـوا لـلـعـامـة
الـعـامـة قـد خـاـكـمـت الـخـلـاج

طـوال الأـسـابـيع السـيـعـة السـاـبـقـة، وـحتـى لـيـلة الدـعـاـيـة
لـتـعـدـيلـات الدـسـتوـر (17ـالـخـارـي)، وـأـنـا أـتـرـجـع بـين فـرـحـتـي بـ
"الـشـعـب يـرـيد . . . كـذـا كـذـا" وـبـيـن "الـشـعـب يـعـمـي عـنـ كـيـتـ وـكـيـتـ"
فـمـقـالـي الـبـاكـر السـابـق الإـشـارـة إـلـيـه بـعـنـوان "يـومـيـات
نـاخـبـ حـزـين" 7-6-1984 جاءـ ماـ يـلى:

..... "راـودـنـي أـمـلـ عـنـدـ أـنـ اـنـسـانـ خـتـمـ، أـعـيـشـ فـيـ بلدـ
خـتـمـ، وـأـنـ أـسـتـطـيـعـ لـذـلـكـ - وـبـذـلـكـ- أـنـ أـقـولـ رـأـيـ فـيـمـنـ يـحـكـمـنـيـ،
بـلـ أـنـ أـصـدـرـ قـرـارـ تـعـيـنـهـ، وـأـنـ أـخـطـئـ فـذـلـكـ أـوـ أـصـيـبـ، وـأـنـ
يـصـحـقـيـ رـأـيـ الـأـخـرـيـنـ، وـحـسـابـ ضـيـرـيـ، وـمـتـابـعـةـ اـجـهـادـيـ، وـتـوـفـيقـ
رـبـ، كـانـ ذـلـكـ بـعـنـاسـيـةـ عـوـدـةـ حـزـبـ الـوـفـدـ جـكـمـ قـضـائـيـ لـيـحـيـاـ
الـعـدـلـ، وـلـسـتـ وـفـديـاـ".

وـفـيـ مـقـالـيـ تـالـيـ بـعـدـ ثـانـيـةـ عـشـرـ عـامـاـ، 30ـماـيوـ 2002
بـعـنـوانـ: "دـيمـقـراـطـيـةـ : كـيـ. جـيـ. توـ!!"، بـدـأـتـ أـخـفـظـ عـلـىـ
مـاـ يـسـمـيـ دـيمـقـراـطـيـةـ أـكـثـرـ فـأـكـثـرـ فـجـاءـ فـيـ هـذـاـ المـقـالـ ماـ
يـلىـ:

..... "إـنـاـ الـدـيـقـراـطـيـةـ، تـلـكـ الـخـدـعـةـ الـعـصـرـيـةـ الـضـرـورـيـةـ
الـمـلـتـبـسـةـ. إـنـاـ لـيـسـتـ مـرـادـفـةـ لـلـحـرـيـةـ، وـلـاـ هـىـ مـرـأـةـ مـنـ كـوـنـهـاـ
قـدـ صـارـتـ خـلـبـاـ فـيـ يـدـ أـصـحـابـ أـمـوـالـ غـيرـ نـظـيـفـةـ، وـإـلـامـ غـيرـ
عـادـلـ، وـسـلـطـاتـ غـيرـ شـرـيفـةـ. عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ كـلـ ذـلـكـ فـمـاـ زـالـتـ
هـىـ أـحـسـنـ الـأـسـوـأـ".

وـفـيـ 20/6/2002 فـيـ الـوـفـدـ أـيـضاـ كـتـبـتـ بـعـنـوانـ: "وـاحـدـ
دـيمـقـراـطـيـةـ، وـصـلـحـهاـ"، زـادـ نـقـدـيـ لـلـدـيمـقـراـطـيـةـ حـقـ قـلتـ:

..... لوـ أـنـ كـلـ وـاحـدـ سـأـلـ نـفـسـهـ تـفـصـيـلـاـ عـنـ مـفـهـومـهـ
الـقـيـقـيـ لـلـدـيمـقـراـطـيـةـ، وـعـنـ مـدـىـ اـسـتـعـادـهـ لـتـحـفـلـ مـسـؤـلـيـةـ
تـطـبـيقـ مـاـ يـقـولـ، إـذـنـ لـتـبـيـنـ أـغـلـبـ الـمـتـحـمـسـنـ أـنـهـ يـرـيدـونـ
دـيمـقـراـطـيـةـ خـصـوصـيـةـ، دـيمـقـراـطـيـةـ "تـفـصـيـلـ"، دـيمـقـراـطـيـةـ قـابـلـةـ
لـلـتـعـدـيلـ حـسـبـ الـطـرـوـفـ وـالـنـيـةـ وـرـضـاـ الـوـالـدـيـنـ، وـ"مـنـ يـكـسـبـ
الـمـلـيـونـ".

ثم فجأة - هذه الأيام - وبفضل هؤلاء الشباب وكل من ساندهم، وجدت نفسي أدخل مدرسة أكثر مصداقية وألزما تعليماً وهي "مدرسة ديمقراطية 25 يناير"، وجاء يوم افتتاح المدرسة يوم السبت 19/3/2011، فعشت خبرة جديدة تماماً

وحتى أتحدث عن هذه الخبرة الأسبوع القادم، وربما بعده، دعونا نقرأ معاً ما أنهيت، مقالاً الباكر جداً

.....

الأربعاء : وأعلنت النتائج 1984:

....."يا ساتر يارب!! ماذا حدث؟ وما فائدة صوتي أذن؟ وأين الأمل؟ هل وفعلواها بالجهود الذاتية؟ إلى أين غنّ ذاهبون؟ الويل من مجرمنا الأمل، الويل من يضطرنا إلى ما لا يحبه، يارب سترك .

الخميس 1984:

أقرأ رائعة جابريل ماركيزا، مائة عام من العزلة: .. كان عدد الأوراق الزرق والأخمر متساوياً تقريباً لكن الرقيب لم يدع منها إلا عشرة وأكمل الفرق بأوراق زرق .. قال أوريليانو سوفيجارب الأحرار فيرد عليه مثل السلطة أنه لن يعلنوا الحرب من أجل تبديل أوراق الاقتراع - ولكن الحرب تعلن، وبعد ثلاثة صفحات يقول أحد الثوار المغاربيين معترضاً أصلاً على محاولة التغيير بالأسلوب الديمغرافي (مادام الأمر كذلك) إننا نضيع وقتنا، وسنظل نضيعه ما دام أوباش الحزب (يعني حزبه الثائر) لا ينقطعون عن شراء مقعد في الكوخرس (ما يقابل مجلس الشعب!!) وأسائل نفسى أليس هذا بالضبط ما تدفعنا إليه هذه الحكومة، أو حزب الحكومة، أو حرص وغباء المنتفعين بالحكومة؟

الجمعة 1984:

أقطع ما سمعت وأبأسه ليس مقتل نائية شجاعة، ولا خطف مندوب مناضل، ولا تسوييد يتم ببعض رجال الجامعة، كل هذا له من معنى فيه وليس عندى ما يحيطني بكل أبعاده، الأقطع - لوصدق - هو حكايات بطاقات زوجات رجال القوات المسلحة التي استخرجت في غير الميعاد والتي سود بعضها بغير حضور، اذ لو صح هذا فهو افتراء ضمني أن القوات المسلحة توجه لتأييد حزب معين، وأدعوا الله ولتدعوه معى لا يصح في قليل أو كثير، يارب سترك .

السبت 1984:

ولو ...، ياسىدى رئيس الدولة: انهم يصررون على أن نيارس اذ يفشلونك، فتنبه لما يفعله عمالك، لأننا جميعاً سوف ندفع ثمنه، وأنت أولنا ولبيتحمل مثلى الحزن ما شاء ولكن دون أن يفقد عناد التفاؤل حتى بعد الذى كان، لأن اليأس، سيدى، هو بداية الخراب بكل معنى وسلام.

والى الجولة القادمة مهما طال الزمن.

(انتهى المقال)

وبعد :

وجاءت الجولة بعد ثلاثة عاماً إلا أربعة

وهذا ما سوف أتناوله في الأسابيع القادمة.